# كُعُود* وَالحِصَان الطَائِر

محمد راضي جعفر

- ١ -

يكاد يذوبُ
اذا ارتعد الكأسُ.
إنَّ الدوالي زاهدةٌ
والعناقيدَ عاشقةٌ راهبة
وتكادُ يداه السالمتانِ
تجوسانِ أعماقَهُ الصاخبهْ
أبينَ يَديْكَ تبوحُ الأميرةُ؟
أمْ أنَّهُ الحُلْمُ مَسَّ شهيَّتَكَ
اللاهبهْ؟
تمالَكْ إذنْ أيُّها العاشقُ المستريبُ
ولا تندهشْ. فالليالي هِبَهْ

★ ★ ★

- ٢ -

سماءٌ تراودُهُ وتعفُّ..
يحدِّقُ فيها.. وتمضي
فيتبعها سائحاً تحت ظلِ الإلَه
وكالطير يحتطبُ الحبَّ،
وَالثَّمَر المتساقطَ كالجمرِ
فوقَ المياهْ
ويلعنُها: الشُرُفاتِ الأميرةَ
مستكبراتٍ، تَزَيَّن بالعُهْرِ
والمتعةِ الكاذبهْ
تُرى: أيُّهُنَ شكتْهُ لشيطانِهِ
فاقشعرَّ من الخوفِ وجدانُهُ
المستفزُّ، ولاذَ برغبتِهِ الغاضبة

- ٣ -

يُجَنُّ، إذا الليلُ جُنَّ،
الفتى القرويُّ المُعَبَّأ بالحزنِ
والسخرية
يكوِّرُ، مثلَ الوسادةِ، قبضتَهُ،
وينامُ كما سمك البحرِ،
شاخصةٌ كالسحابةِ عيناهُ
لا تطرفانْ
يقولُ إذا انتصفَ الليلُ
«لم يبقَ إلاَّ الأقَلُّ»
وينبلج الفجرُ..
عيناهُ لا تكذبانْ
يقُومُ أبوهُ يصلّي، ويتلو الدعاءَ،
ويسألُهُ الرزقَ والعافيه
ويبصرُهُ راكعاً ساجداً،
غائثاً مستغيثاً:
- «ألا أيُّها الوالدُ الطاهرُ
الثوبِ طوبى لقلبِكَ
فالصبحُ آتْ»

★ ★ ★

- ٤ -

يفيق مع الشمسِ قبلَ الطيور
وينهضُ مستسلماً للحياة
يراقبُ أولَّ خيطٍ يسحُّ من الشمسِ
يمسكُهُ كالفراشةِ،
يلثمُهُ ياسمينة
وتنهمرُ الشمسُ كالنهرِ
تملأُ عينيهِ، تَبْهرُهُ،
وتحاصرُهُ بالسكينة
ويهتفُ كالطفل:
أيَّتُها الشمسُ هل مرَّ يوماً
عليكَ حصاني الأثير؟
جناحاهُ من رغبةٍ مستحيلة
ويسألُ نبعاً يُباغتُ بالماءِ حَرَّ الحصاةْ:
أما مرَّ؟
غُرَّتُهُ كصباحِ الفلاةْ
ويسألُ داليةً
فيَّأتْ بعناقيدِها المترعاتْ:
أمَرَّ؟
سُلالَتُهُ، لم تَخُنْهُ، أصيلة

- ٥ -

وقالتْ له الشمبسُ
والنبعُ والدالية:
سمعناهُ، مَرَّ يُغنّي،
ولم تَرَهُ العينُ، لكنَّ
بعض النوارسِ قالت:
لقد مرَّ
كانَ لهُ كرفيفِ النسيمْ
تحفُّ بِهِ الفاتنات الحسانُ،
ويحملُهُ الشوقُ كالسارية
وقُلْنَ:
رأيناهُ حَلَّقَ فوقَ الذرى
كالسحاب، وحطَّ على بانَةٍ
مثلِ عودِ المطرْ

- ٦ -

يلملمُ أنفاسَهُ اللاهثاتِ، الفتى
المعقليُّ، ويصعدُ صوبَ الذر
الواقفاتِ وقوفَ القدرْ
يسألُهُ الشجرُ المتحالفُ بالكبرياءِ:
«إلى أينَ»،
يومئُ نحوَ الذُّرى السامقات
تُخَلّي لهُ الدربَ آمنةً،
وتخف تعانقُهُ غيمةٌ كوشاحِ الملاك
وتحملُهُ كالوليد إلى ذروةِ
الطائرِ العنفوانْ

- ٧ -

تلوِّحُ، من شُرُفاتِ الغيومِ،
يداهُ المسالمتان، ويهتف
مشتعلاً بالسُمُوِّ:
سلاماً.

- ٨ -

وقلتُ:
وداعاً
وداعا

* كعود هو الاسم الشعبي للفنان العراقي الراحل علي الأطرش.